بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْوَ أَمْنٍ ثَقَافِيٍّ عَالَمِيٍّ،
الاِسْتِشْرَاقُ وَرِهَانُ التَّحَالُفِ بَيْنَ اَلْحَضَارَاتِ

كلمة سعادة الدكتور غيث مبارك الكواري

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دولة قطر

بكلية الدراسات الإسلامية بسراييفو

يناير 2013

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

سَعِيدٌ أَنَا اَلْيَوْمَ بِاللِّقَاءِ بِكُمْ فِي هَذَا الصَّرْحِ اَلْعِلْمِيّ ذِي الدَّلَالَةِ اَلْكُبْرَى كلية الدراسات الإسلامية. اَلْوَرَقَةُ الَّتِي اِخْتَرْتُ تَقْدِيمَهَا فِي هَذِهِ اَلْمُنَاسَبَةِ هِيَ "نَحْوَ أَمْنٍ ثَقَافِيّ عَالَمِيّ، الاِسْتِشْرَاقُ وَرِهَانُ التَّحَالُفِ بَيْنَ اَلْحَضَارَاتِ"

لاَ يَخْفَى عَلَى حَضَرَاتِكُمْ ما يعيشه العالم الحالي مِنْ تَحَوُّلاَتٍ، وَلاَ يَخْفَى عَنْكُمْ كَذَلِكَ، أَنَّ سُوقَ اَلْأَفْكَارِ تَعُجُّ بِالْمَفَاهِيمِ اَلْجَدِيدَةِ. فَمِنْهَا مَا أَخَذَ وَقْتَهُ فِي التَّأْصِيلِ فَرَاعَى اَلْقِيَمَ وَالْأَخْلاَقَ، وَانْسَجَمَ فِي طَرْحِهِ، فَلَمْ يَلْقَ مُصَادَمَةً مَعَ هُوِيَّةٍ مِنَ الْهُوِّيَاتِ وَلاَ مُمَانَعَةً مِنْ دِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَلاَ اعْتِرَاضًا مِنْ أَهْلِ ثَقَافَةٍ مِنَ الثَّقَافَاتِ، نَظَرًا لِلْمَقَاصِدِ الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي يَرُومُ إِشَاعَتَهَا فِي الْعَالَمِينَ.

كَمَا أَنَّ مِنْهَا، مَا تَأَسَّسَ عَلَى رُؤَى اَلْمُخَالَفَةِ لِأَجْلِ اَلْمُخَالَفَةِ، أَوْ فِي إِطَارِ اَلْأُحَادِيَةِ اَلضَّيِّقَةِ اَلرَّافِضَةِ لِكُلِّ آخَر، أَوْ نَشَأَ هَجِينًا آخِذًا طَرَفًا مِنْ جِهَةٍ وَأَطْرَافًا مِنْ جِهَاتٍ أُخْرَى دُونَ مُوَاءَمَةٍ وَلاَ تَطْوِيعٍ وَلَا مَنْطِقٍ نَاظِمٍ. وَقَدْتَمَثَّلَ هَذَا النَّوْعُ اَلْأَخِيرُ فِي أَفْكَارٍ جَوَّالَةٍ وَجَدَتْ لَهَا سَبِيلاً إِلَى الشَّرَائِحِ اَلْوَاسِعَةِ مِنَ النَّاسِ بِفِعْلِ هَذَا الِانْتِشَارِ اَلْوَاسِعِ لِوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، وَهَذِهِ الطَّفْرَةِ اَلْمَلْحُوظَةِ فِي مَجَالِ اَلْعُلُومِ التَّقَنِيَةِ.

غَيْرَ أَنَّ صِنَاعَةَ اَلْأَفْكَارِ وَصِيَاغَةَ اَلْمَفَاهِيمِ، لَمْ تَعُدْ تَنْطَلِقُ دَائِمًا مِنْ فِئَةٍ أَكَادِيمِيَةٍ عَالِمَةٍ، تُؤَطِّرُ نَفْسَهَا بِرُؤْيَةٍ لِلْعَالَمِ مُعَيَّنَةٍ، وَتَشْتَرِطُ لِعَمَلِهَا نَوْعًا مِنَ الصَّرَامَةِ اَلْمَنْهَجِيَةِ،مُسْتَلْزِمَةً قَدْرًا مِنَ اَلْعُدَّةِ اَلْمَعْرِفِيَّةِ.

لَمْ تَعُدِ اَلْجَامِعَةُ وَالْمَحَافِلُ اَلْأَكَادِيمِيَةُ وَحْدَهُمَا تُنْتِجَانِ أَفْكَارًا وَمَفَاهِيمَ تُوَجِهُ عَالَمَ الثَّقَافَةِ وَالاقْتِصَادِ وَالسِّيَاسَةِ وَكُلِّ مَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مِنْ مَجَالَاتٍ، بَلْ طَرَأَ عَلَى السَّاحَةِ اَلْمَفَاهِيمِيَةِ مُتَدَخِّلُونَ جُدُدًا عَزَّزَتْ مَوْقِعَهُمْ تِرْسَانَةٌ رَهِيبَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ التقنيةِ الحديثةِ، كَمَا حَدَثَ نَوْعٌ مِنَ الارْتِبَاكِ اَلْبَيِّنِ فِي مَجَالَاتِ التَّخَصُّصِ وَحُدُودِهَا؛ فَوَجَدْنَا الصُّحُفِيَّ يَلْبَسُ جُبَّةَ اَلْمُؤَرِّخِ، وَوَجَدْنَا اَلْأَكَادِيمِيَّ يَسْتَحِيلُ إِلَى وَاعِظٍ، وَالطَّبِيبَ يَسْتَحِيلُ إِلَى سِيَاسِيٍّ رَاعٍ لِبَرَامِجَ خَارِجَمَجَالِهِ التَّخَصُّصِيِّ، وَوَجَدْنَا الفَقِيهَ فِي الدِّينِ لاَ يَتَرَدَّدُ فِي اَلْخَوْضِ فِي اَلْإِعْلاَمِ وَالاِقْتِصَادِ وَالسِّيَاسَةِ وَالثَّقَافَةِ... لَقَدْ حَصَلَ فِعْلاً أَنَّ التَّخَصُصَاتِ بِحُدُودِهَا اَلْمَعْرُوفَةِ خِلاَلَ اَلْقَرْنَيْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ وَالْعِشْرِينَ، قَدْ عُوِّمَتْ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ مِنَ التَّخَصُّصَاتِ الدَّقِيقَةِ وَالتَّخَصُّصَاتِ اَلْفَرْعِيَةِ، وَغَمَرَهَا مُحِيطٌ مُمْتَدُّ الشُّطْآنِ مِنَ اَلْمَفَاهِيمِ، فَحُكِمَ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْاِنْدِثَارِ أَوِ الاِسْتِمْرَارِ فِي إِطَارٍ مَتْحَفِيٍّ قَدْ يَكُونُ مَوْضُوعًا جَيِّدًا لِلدَّرْسِ فِي مَادَّةِ تَارِيخِ اَلْأَفْكَارِ، أَوْ أُجْبِرَتْ عَلَى إِيجَادِ تَعْرِيفٍ جَدِيدٍ لَهَا يُلاَئِمُ اَلْفَضَاءَ اَلْمُعَاصِرَ بِكُلِّ زَخَمِهِ وَسُرْعَتِهِ، وَيُلْبِسَهَا جُبَّةً طَارِئَةً فِي سُوقِ الْمَعَارِفِ.

لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ اَلْمُقَدِّمَةَ ضَرُورِيَةً، وَمِنْ خِلاَلِهَا نَتَسَاءَلُ عَنْ دَوْرِ مَرَاكِزِ الاِسْتِشْرَاقِ فِي اَلْوَقْتِ الرَّاهِنِ.

الشَّائِعُ أَيُّهَا السَّادَةُ، أَنَّ مَرَاكِزَ الاِسْتِشْرَاقِ فِي أُورُبَّا والَّتِي نَشَأَ بَعْضُهَا مُنْذُ اَلْقَرْنِ اَلْخَامِسِ عَشَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ، رَامَ دِرَاسَةَ الشَّرْقِ إِمَّا إِعْجَابًا بِهِ وَتَحْصِيلاً لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْهُ، أَوْ رَغْبَةً فِي التَّمَكُّنِ مِنْ اَلْآلِيَاتِ النَّاظِمَةِ لَهُ بِقَصْدِ إِنْتَاجِ وَتَرْتِيبِ مَا يُتِيحُ التَّغَلْغُلَ فِيهِ وَتَوْجِيهَهِ وَالتَّغَلّبَ عَلَيْهِ وَالاِسْتِفَادَةَ مِنْ مُقَدَّرَاتِهِ. وَعَلَى

مَرّ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ تَرَاوَحَتِ الدِّرَاسَاتُ الاِسْتِشْرَاقِيَةُ بَيْنَ الْإِعْجَابِ وَالاِفْتِتَانِ بِعَبَقِ الشَّرْقِ وَمَعَارِفِهِ إِمَّا بِقَصْدِ تَوْظِيفِهَا فِي بِنَاءِ اَلْجِسْمِ اَلْغَرْبِيِّ اَلْخَارِجِ مِنَ اَلْعُصُورِ اَلْوُسْطَى وَسَطْوَةِ اَلْفِكْرِ اَلْفْيُودَالِي اَلْمَدْعُومِ مِنْ طَرَفِ اَلْكَنِيسَةِ، أَوْ بِتَوْظِيفِهَا فِي حُلُولِ الصِّدَامِ بَيْنَ فِكْرِ تِلْكَ اَلْعُصُورِ وَفِكْرِ النَّهْضَةِ وَالْإِصْلاَحِ الدِّينِيِّ وَعَصْرِ اَلْأَنْوَارِ وَالْكُشُوفَاتِ اَلْجُغْرَافِيَةِ وَبُرُوزِ اَلْعَهْدِ اَلْإِمْبِرْيَالِي..

وَحُقَّ لِبَعْضِنَا فِي اَلْعَالَمِ اَلْإِسْلاَمِيِّ أَنْ يُصَنِّفَ اَلْاِسْتِشْرَاقَ إِلَى استشراقٍ أَلِيفٍ صَدِيقٍ وَاسْتِشْرَاقٍ مُتَعَصِّبٍ عَدُوٍّ. فَبَيْنَمَا أَفَادَنَا اَلْأَوَّلُ فِي تَعْرِيفِنَا عَلَى جُزْءٍ مِنْ ذَخَائِرِنَا اَلْفِكْرِيَّةِ اَلشَّرْقِيَةِ، فَحَقَّقَ أُمَّهَاتِ مَصَادِرِنَا، وَأَنْتَجَ دِرَاسَاتٍ عَنْ أَعْلاَمِنَا وَمَظَاهِرِ حَضَارَتِنَا، بَلْ أَعَدَّ فَهَارِسَ اَلْعَدِيدِ مِنْ مَكْتَبَاتِنَا، وَفَهَارِسَ لِنُصُوصِنَا الدِّينِيَةِ، قُرْآنًا وَحَدِيثًا وَفِقْهًا وَأَسْهَمَ فِي تَأْسِيسِ جَامِعَاتِنَا بِالْمَفْهُومِ اَلْحَدِيثِ لِلْجَامِعَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ... نَحَا اَلثَّانِي إِلَى خَلْخَلَةِ اَلْبِنْيَاتِ الثَّقَافِيَةِ لِلشَّرْقِ، فَاخْتَرَقَهَا بِأَبْحَاثٍ حَمَلَتِ اَلْبَعْضَ مِنْ أَبْنَاءِ الشَّرْقِ عَلَى الشَّكِّ فِي مُسَلَّمَاتِهِمُ الدِّينِيَةَ،فَطَرَحَ آلِيَاتِ تَفْكِيرِهِمْ مَجَالاً لِلْمُسَاءَلَةِ، وَأَوْرَثَهُمْ اضْطِرَابًا هُوِّيًا نَتَجَ عَنْهُ اسْتِتْبَاعٌ ثَقَافِيٌّ لِلْغَرْبِ وَخُضُوعٌ لَهُ وَانْسِيَاقٌ لِطُرُوحَاتِهِ.

وَإِذَا كَانَ الاِسْتِشْرَاقُ فِي مَسَارِهِ الطَّوِيلِ قَدْ نَجَحَ فِي تَشْكِيلِ وَعْيِ اَلْغَرْبِ وَالْغَرْبِيِّينَ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَيِّ تَأْثِيرٍ شَرْقِيٍّ، فَإِنَّهُ اَلْيَوْمَ فِي أَزْمَةٍ وَضَعَتْ نِتَاجَهُ اَلْغَزِيرَ، عَتِيدَهُ وَحَدِيثَهُ، أَمَامَ اَلْمُسَاءَلَةِ وَالدَّرْسِ مِنَ اَلْغَرْبِيِّينَ أَنْفُسَهُمْ. وَكَيْفَ لاَ وَقَدْ اِنْفَتَحَ اَلْعَالَمُ وَلَمْ تَعُدْ خَرِيطَةُ اَلْأَفْكَارِ تَحْصِرُهَا اَلْأَقْطَارُ، كَيْفَ لاَ وَقَدْ صَارَ فِي اَلْغَرْبِيِّينَ نِسْبَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرْقِ، وَصَارَ فِي الشَّرْقِ نِسْبَةٌ مُقِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ اَلْغَرْبِ، وَأَصْبَحَ بِمُكْنَةِ الشَّرْقِ أَنْ يُتَابِعَ بِأَدَقِّ التَّفَاصِيلِ مَا يَجْرِي فِي اَلْغَرْبِ، وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ.

لَمْ يَعُدِ اَلْغَرْبِيُّونَ مُحْتَاجِينَ إِلَى عَوْدَةِ الرِّجَالِ مِنَ اَلْحَمْلاَتِ وَالْبُعُوثِ لِيُلْقُوا التَّقَارِيرَ عَنْ مُشَاهَدَاتِهِمْ وَاكْتِشَافَاتِهِمْ وَيَعْرِضُوا مَا حَصَّلُوهُ مِنْ كُنُوزِ الشَّرْقِ، لَمْ يَعُدِ

اَلْغَرْبِيُّونَ مُضْطَرّينَ إِلَى تَلَمُّسِ أَخْبَارِ تِلْكَ اَلْحَمْلاَتِ عَنْ طَرِيقِ الأشعار الَّتِي يُرَدِّدُهَا مُغَنُّو اَلْتُرُوبَادُورْ اَلْجَوَّالُون، لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَيُّ مَعْنًى لِحُدُودٍ جُغْرَافِيَةٍ تَمِيزُ اَلْأَخْبَارَ وِفْقَ شُرُوطٍ رَقَابِيَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَلَمْ يَعُدِ اَلْكِتَابُ يَسْتَلْزِمُ تَصْدِيقَاتِ اَلْأَجْهِزَةِ الرَّقَابِيَةِ دِينِيَةٍ كَانَتْ أَمْ سِيَاسِيَةٍ لِيَنْتَشِرَ مُبَارَكًا بَيْنَ اَلْقُرَّاءِ، أَغْلَبُ اَلْكُتُبِ الَّتِي لَاحَقَتْهَا فَهَارِسُ اَلْمُرَاقِبِينَ فِي اَلْقُرُونِ اَلْمَاضِيَةِ، عَادَتِ اَلْآنَ لِتُعْرِبَ عَنْ مَكْنُونَاتِهَا فِي زَمَانِنَا الرَّقْمِيّ. بَلْ أَصْبَحَ فِي اَلْعَالَمِ مِنَ اَلْوَسَائِلِ مَا يَجْمَعُ الشَّرْقِيَّ وَالْغَرْبِيَّ عَلَى مَائِدَةٍ اِفْتِرَاضِيَةٍ يَحْتَسِيَانِ فِيهَا قَهْوَةً بِالْهِيلِ هَاهُنَا وَ شَايًا صِينِيًّا أَخْضَرَ هُنَاكَ، دُونَ مُرَاعَاةٍ لِلْفَارِقِ الزَّمَنِيّ بَيْنَ بَلَدَيْهِمَا.

لَقَدْ صَارَ اَلْغَرْبُ كَمَا الشَّرْقُ عَارِفَانِ بِبَعْضِهِمَا البعض، وَهُمَا اَلْآنَ يُجَابِهَانِ نَفْسَ التَّحَدِّيَاتِ، وَهُمَا مُضْطَرَّانِ اَلْآنَ إِلَى حِوَارٍ مُتَكَافِئٍ وَهَادِئٍ، فَكَثِيرٌ مِنْ مَشَاكِلِ اَلْغَرْبِ مَفَاتِيحُ حَلِّهَا عِنْدَ الشَّرْقِ، كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ مَشَاكِلِ الشَّرْقِ لِلْغَرْبِ كَلِمَةٌ فِيهَا. مَنْطِقٌ جَدِيدٌ إِذَنْ. لَمْ يَعُدْ لِمَقُولَةِ "الشَّرْقُ شَرْقٌ وَاَلْغَرْبُ غَرْبٌ وَلاَ يَلْتَقِيَانِ" وُجُوبٌ فِي سِيَاقِ وَاقِعِنَا اَلْحَالِيّ. إِنَّهُمَا حَتْمًا يَلْتَقِيَانِ، إِنَّهُمَا مَعًا تَتَهَدَّدُهُمَا نَفْسُ اَلْأَخْطَارِ، وَهُمَا مَعًا مُطَوَّقَانِ بِفَيْضٍ مِنَ اَلْأَفْكَارِ اَلْمَيِّتَةِ. قَدْ يَخْتَلِفَانِ فِي اَلْمُعْتَقَدِ، قَدْ يَخْتَلِفَانِ فِي اللّغاتِ، قَدْ يَتَبَايَنَانِ فِي آلِيَاتِ النَّظَرِ، لَكِنَّهُمَا مُوقِنَانِ أَنَّ مَقَاصِدَ اَلْأَدْيَانِ جَامِعَةٌ، وَهِيَ مَجَالٌ وَاسِعٌ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِيَةِ جَمِيعِهَا أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْ مَآلَاتِهَا اَلْإِيجَابِيَةِ.

وَهُنَا أَيُّهَا السَّادَةُ ، وَلِيَنْجَحَ اَلْحِوَارُ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، لاَبُدَّ أَنْ يُعِيدَ كُلُّ طَرَفٍ مِنْهُمَا مُرَاجَعَةَ مَعَارِفِهِ عَنِ الطَّرَفِ اَلْآخَر، لاَبُدَّ فِي الشَّرْقِ مِنْ دَعْمِ مَرَاكِزِ دِرَاسَاتِ اَلْغَرْبِ، وَلَابُدَّ فِي اَلْغَرْبِ مِنْ دَعْمٍ لِمَرَاكِزِ دِرَاسَاتِ الشَّرْقِ، لَكِنْ بِتَعْرِيفٍ جَدِيدٍ يَجْعَلُ مِنَ الاِسْتِشْرَاقِ وَالاِسْتِغْرَابِ مَجَالاً لِلْمَعْرِفَةِ يُفْضِي إِلَى تَحَالُفٍ شَرْقِيٍّ غَرْبِيٍّ يُحَاصِرُ فِكْرَ اَلْأُحَادِيَةِ وَالتَّطَرُّفِ وَكُلَّ اَلْأَفْكَارِ السَّالِبَةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا زَعْزَعَةُ الاِسْتِقْرَارِ وَالسِّلْمِ اَلْعَالَمِيَيْنِ.

وَبِهَذَا اَلْمَنْطِقِ، مَنْطِقِ بِنَاءِ الثِّقَةِ مِنْ أَجْلِ التَّعَارُفِ وَالتَّحَالُفِ، وَتَحْقِيقِ السِّلْمِ نَكُونُ قَدْ أَمَّنَّا لِأَنْفُسِنَا وَلِأَجْيَالِنَا اَلْقَادِمَةَ أُفُقًا جَدِيدًا لِلْعَيْشِ فِي كَوْكَبِنَا اَلْجَمِيلِ الَّذِي نَاسَبَ فِيهِ اَلْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ كُلِّ اَلْعَنَاصِرِ.

وَمَا دَامَ اَلطَّرْحُ هَكَذَا، فَإِنَّ مَرْكَزَ الاِسْتِشْرَاقُ فِي سَرَايِيفُو مَدْعُوٌّ مِنْ جَانِبِهِ أَنْ يَقُودَ مَرَاكِزَ الاِسْتِشْرَاقِ فِي اَلْغَرْبِ إِلَى حِوَارٍ دَاخِلِيٍّ يَنْتُجُ عَنْهُ تَوَافُقٌ عَلَى خُطُوطٍ تُحَاصِرُ فِكْرَ الصِّدَامِ الَّذِي غَالِبًا مَا يَكُونُ مَرْتَعًا لِأَفْكَارٍ مَيِّتَةٍ تُورِثُ النِّزَاعَ وَالْقَطِيعَةَ وَالتَّطَرُّفَ، وَيَتَأَسَّسُ عَنْهُ طَرْحٌ مُؤَسِّسٌ لِلتَّحَالُفِ وَالتَّعَارُفِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَنْهُمَا مِنْ مَآلَاتٍ إِيجَابِيَةٍ.

وَنَحْنُ كَذَلِكَ مَدْعُوُّونَ إِلَى أَنْ نَنْهَجَ نَفْسَ اَلْحِوَارِ، فَنُؤَسِّسَ لِحِوَارٍ مَعَ اَلْغَرْبِ يُفْضِي إِلَى تَحَالُفٍ يُفْضِي إِلَى مَآلَاتٍ إِيجَابِيَةٍ أَيْضًا تَخْدُمُ الاِسْتِقْرَارَ اَلْعَالَمِيَّ.

إِنَّ تَنْمِيَةَ "التَّعَارُفِ" مَدْخَلٌ أَسَاسٌ إِلَى "التَّحَالُفِ"، وَنَحْنُ حِينَ نَعُودُ إِلَى اَلْحَقْلِ الدَّلَالِيِّ لِكَلِمَةِ "تَعَارُف" نَقِفُ عَلَى مَا تُحِيلُ عَلَيْهِ صِيغَةُ "تَفَاعَلَ" مِنْ أَخْذٍ وَعَطَاءٍ وَتَبَادُلٍ، وَهِذِهِ الصِّيغَةُ تُحِيلُ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ رَغْبَةً مِنْ طَرَفَيْنِ أَوْ أَطْرَافٍ إِلَى ضَبْطِ كُلِّ مَا يَدُلّ عَلَى الطَّرَفِ اَلْآخَرِ بِغَرَضِ التَّوَاصُلِ مَعَهُ، إِذْ أَنَّ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ اَلْآخَرِ لِأَجْلِ اَلْمَعْرِفَةِ فَقَط تَخْرُجُ عَنْ نِطَاقِ التَّعَارُفِ.

وِفْقَ هَذَا اَلْمَنْظُورِ يُمْكِنُنَا أَنْ نَجْعَلَ مِنَ الاِسْتِشْرَاقِ وَالاِسْتِغْرَابِ مَجَالَيْنِ مَعْرِفِيَيْنِ يَتَفَاعَلَانِ فِي إِطَارٍ تَعَارُفِيٍّ، فَتُصْبِحُ مُهِمَّةُ الاِسْتِشْرَاقِ مَعْرِفَةُ الشَّرْقِ بِإِنْسَانِهِ وَأَدْيَانِهِ وَثَقَافَاتِهِ وَتُرَاثِهِ وَفِعْلِهِ فِي التَّارِيخِ وَالْحَضَارَةِ اَلْإِنْسَانِيَيْنِ وَرُؤْيَتِهِ لِلْعَالَمِ، وَوَاقِعِهِ اَلْحَالِي، وَمَشَاكِلِهِ، لَكِنَّ هَذِهِ اَلْمَعْرِفَة بِالشَّرْقِ لاَ تَتِمُّ بِشَكْلٍ أُحَادِيٍّ بَلْ فِي صِلَةٍ مَعَ أَهْلِ الشَّرْقِ، وَفِي وِجْهَةِ مُقَابِلَةٍ تُصْبِحُ مُهِمَّةُ الاِسْتِغْرَابِ مَعْرِفَةُ اَلْغَرْبِ بِإِنْسَانِهِ وَأَدْيَانِهِ

وَثَقَافَاتِهِ وَتُرَاثِهِ وَفِعْلِهِ فِي التَّارِيخِ وَالْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَيْنِ وَرُؤْيَتِهِ لِلْعَالَمِ، وَوَاقِعِهِ الْحَالِيِّ، وَمَشَاكِلِهِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَة بِالْغَرْبِ كَذَلِكَ لَا تَتِمُّ بِشَكْلٍ أُحَادِيٍّ بَلْ بِصِلَةٍ بِأَهْلِ الْغَرْبِ. إِنَّ حُضُورَ الطَّرَفَيْنِ فِي تَعْرِيفِ نَفْسِهِمَا لِبَعْضِهِمَا الْبَعْضِ، سَيَجْعَلُ مَآلَاتِ الْمَسَارِ التَّعَارُفِيِّ الَّذِي تَوَافَقَا عَلَيْهِ مُؤَسِّسَةً لِتَحَالُفٍ فِعْلِيٍّ.

وَبِهَذِهِ الْوِجْهَةِ، سَتُصْبِحُ مَرَاكِزُ الاِسْتِشْرَاقِ وَمَرَاكِزُ الاِسْتِغْرَابِ جِهَازًا مُرَتَّبًا لِلْحِوَارَاتِ الَّتِي تَنْجُمُ عَنِ التَّحَالُفِ، وَسَيَكُونُ لِوُجُودِهِمَا مَعْنًى إِيجَابِيًا لِمَا سَيُحَقِّقَانِهِ مِنْ تَوَازُنٍ فِي الْمَفَاهِيمِ وَتَقْرِيبٍ لِلرُّؤَى، وَسَيَبْحَثَانِ مَعًا عَنْ طُرُقٍ وَأَسَالِيبَ لِتَصْرِيفِ نَتَائِجِهِمَا فِي مُجْتَمَعَيْهِمَا لِمُحَاصَرَةِ كُلِّ الْأَفْكَارِ الْمُتَطَرِّفَةِ، وَكُلِّ النُّزُوعَاتِ الْمُتَعَصِّبَةِ، مِمَّا سَيَنْعَكِسُ إِيجَابِيًا عَلَى الْإِنْسَانِيَةِ جَمْعَاءَ.

إِنَّ فِكْرَةَ الْمُغَايَرَةِ الَّتِي حُصِرَ فِيهَا مَفْهُومَا "الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ"، وَالَّتِي كَرَّسَتْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَالْمُسْتَغْرِبِينَ، حَتَّمَتْ عَلَى الطَّرَفَيْنِ بِأَنْ يَسْتَحْضِرَا لُزُومًا نَبْرَةَ الصِّدَامِ وَالْمُجَابَهَةِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمَا لَوْ جَدَّدَا تَعْرِيفَ مَجَالِهِمَا وِفْقَ مَا تَقْتَضِيهِ غَايَةُ التَّحَالُفِ، سَيَقْتَنِعَانِ بِأَنَّهُمَا يَتَكَامَلَانِ فِي بِنَاءِ أُفُقٍ يَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِيَةِ جَمِيعِهَا بِالنَّفْعِ؛ إِنَّهُمَا سَيَبْنِيَانِ مَفَاهِيمَ تُوَسِّعُ مِنْ دَائِرَةِ الْخَيْرِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَسَيُفْرِزَانِ أَنْظِمَةً تَعْلِيمِيَةً تُؤَمِّنُ لِلْجَمِيعِ الْحَقَّ فِي اِمْتِلَاكِ التِّقَنِيَةِ وَتُهَيِّؤُهُمْ إِلَى تَبَادُلِ الْمَعَارِفِ، كَمَا سَيَقْتَنِعَانِ بِمَسْؤُولِيَتِهِمَا الْمُشْتَرَكَةِ فِي صَوْنِ كَوْكَبِ الْأَرْضِ، وَالْحِفَاظِ عَلَى البِيئَةِ، وَسَيُقِرُّ كُلُّ طَرَفٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ بِالْحَقِّ فِي الاِخْتِلَافِ الْفِكْرِيِّ، بَلْ سَيَجْتَهِدُ كُلُّ طَرَفٍ مِنْهُمَا فِي تَعْدِيلِ خِطَابِهِ تُجَاهَ الطَّرَفِ الثَّانِي.

إِنَّ الاستشراقَ الذي أَسَّسَتْ بَعْضُ الْأَعْمَالِ النَّاتِجَةِ عَنْهُ سُوءَ فَهْمٍ اِمْتَدَّتْ آثَارُهُ زَمَنًا طَوِيلاً، قَادِرٌ الْيَوْمَ أَنْ يَفْتَحَ سَبِيلاً لِلْمُرَاجَعَةِ الذَّاتِيَةِ، وَسَبِيلاً آخَرَ لِلْحِوَارِ، كَمَا أَنَّهُ آنَ الْأَوَانُ لِلاِسْتِغْرَابِ الَّذِي ظَلَّ مُحْتَشِمًا مَحْصُورًا زَمَنًا بَعِيدا في بِلَادِ الشَّرْقِ،

مُتَقَوْقِعًا فِي دَائِرَةِ "الرَّدِّ"، أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ أَوْهَامِ اَلْمُجَابَهَةِ. إِنَّهُ اَلْآنَ مَدْعُوٌّ إِلَى تَعْرِيفٍ جَدِيدٍ كَمَا أَسْلَفْنَا، كَمَا أَنَّهُ مَدْعُوٌّ إِلَى إِبْرَازِ خِطَابٍ جَدِيدٍ عَنِ اَلْغَرْبِ، خَاصَّةً وَأَنَّ هَذَا اَلْغَرْبَ لَيْسَ كُلُّهُ مُتَوَحِّشًا، وَلَيْسَ كُلُّهُ اِسْتِعْمَارِيًّا رَافِضًا لِكُلِّ آخَرَ. إِنَّ دَارِسَ الشَّرْقِ وَ دَارِسَ اَلْغَرْبِ فِي زَمَانِنَا، بَعْدَ ذَلِكَ اَلْمَسَارِ اَلطَّوِيلِ مِنَ اَلْمُجَابَهَةِ وَتَعْمِيقِ التَّغَايُرِ، وَتَرْسِيخِ اَلْحُدودِ بَيْنَ عَالَمَيْنِ، صَارَ مَحْكُومٌ عَلَيْهِمَا اَلْآنَ فِي ضَوْءِ اَلْمُتَغَيِّرَاتِ اَلَّتِي يَعْرِفُهَا اَلْعَالَمُ، أَنْ يَكُفَّا عَنْ تَعْمِيقِ اَلْأَخَادِيدِ وَأَنْ يَتَحَوَّلاَ إِلَى بُنَاةٍ لِجُسُورِ التواصل والتفاهم.

اَلْإِنْسَانِيَةُ فِي وَضْعِهَا اَلْحَالِي اَلَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ اِسْتَبْدَلَت اَلْمَادَّةَ بِالرُّوحِ وَاسْتَسْلَمَتْ لِنَتَائِجِ اَلْمُخْتَبَرَاتِ، وَاسْتَبْعَدَتِ اَلْقِيَمَ مُؤَسِّسَةً لِمَفَاهِيمَ قَاتِلَةً، مُحْتَاجَةٌ إِلَى كُلِّ اَلْعُقَلَاءِ اَلَّذِينَ يُقَدِّرُونَ قِيمَةَ التَّحَاوُرِ، وَيُدْرِكُونَ مَآلَاتِ التَّحَالُفِ مِنْ أَجْلِ اَلْخَيْرِ.

أيها السادة

إِنَّنَا فِي قَطر نَعِي جَيِّدًا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى عِتْقِ اَلْبَشَرِيَّةِ مِنَ اَلْأَفْكَارِ السَّالِبَةِ وَانْتِشَالِهَا مِنْ أَتُونِ اَلْحُرُوبِ وَالنِّزَاعَاتِ، وَتَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ اَلْمُسْتَدَامَةِ، إِلاَّ بِتَبَنِّي الاِعْتِدَالِ وَاَلْوَسَطِيَّةِ. وَقَدْ اِنْخَرَطَتْ بِلاَدُنَا فِي كُلِّ اَلْمُبَادَرَاتِ اَلْإِيجَابِيَةِ لِلْحِوَارِ بَيْنَ الثَّقَافَاتِ وَتَحَالُفِ اَلْحَضَارَاتِ. بَلْ إِنَّ دُسْتُورَ قَطر شَكَّلَ لَنَا مَرْجِعِيَّةً ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ. فَالْمُجْتَمَعُ اَلْقَطَرِيُّ يَقُومُ عَلَى "دَعَامَاتِ اَلْعَدْلِ، وَالْإِحْسَانِ وَاَلْحُرِّيَّةِ وَالْمُسَاوَاةِ وَمَكَارِمِ اَلْأَخْلاَقِ"(المادة18)، وَيَنُصُّ عَلَى أَنَّ "النَّاسَ مُتَسَاوُونَ أَمَامَ اَلْقَانُونِ، لاَ تَمْيِيزَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَبَبِ اَلْجِنْسِ، أَوِ اَلْأَصْلِ، أَوِ اللُّغَةِ، أَوِ الدِّينِ" (المادة35) وَأَكَّدَ عَلَى مَبَادِئِ السِّلْمِ وَالْأَمْنِ الدَّوْلِيَيْنِ، وَعَلَى دَعْمِ حَقِّ الشُّعُوبِ فِي تَقْرِيرِ مَصِيرِهَا، وَنَصَّ عَلَى عَدَمِ التَّدَخُّلِ فِي الشُّؤُونِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلدُّوَلِ، وَالتَّعَاوُنِ مَعَ اَلْأُمَمِ اَلْمُحِبَّةِ لِلسَّلَامِ (المادة7) وَكَفَلَ حُرِّيَةَ الرَّأْيِ وَالْبَحْثِ اَلْعِلْمِيِّ (المادة47).

وَقَدْ رَكَّزَتْ بِلاَدُنَا فِي الرُّؤْيَةِ اَلْوَطَنِيَةِ 2030 عَلَى اَلْإِنْسَانِ الَّذِي يُعْتَبَرُ رَكِيزَةً لِكُلِّ تَنْمِيَةٍ، فَدَعَمَتْ مُجْتَمَعَ اَلْمَعْرِفَةِ، وَعَزَّزَتْ مِنْ فُرَصِ تَكْوِينِ الشَّبَابِ تَكْوِينًا يُوَائِمُ بَيْنَ اَلْأَصَالَةِ وَالْمُعَاصَرَةِ، وَيُمَكِّنُهُ مِنْ مُوَاكَبَةِ اَلْأَفْكَارِ اَلْحَيَّةِ اَلْجَارِيَةِ فِي اَلْعَالَمِ، وَالتَّفَاعُلِ مَعَ اَلْقَضَايَا اَلْعَادِلَةِ، وَخِدْمَةِ اَلْإِنْسَانِيَةِ مِنْ أُفُقٍ تَعَارُفِيٍّ تَوْسِيعًا لِدَائِرَةِ اَلْخَيْرِ، وَتَحْقِيقًا لِفَهْمٍ دَقِيقٍ لِدَوْرِ اَلْإِنْسَانِ فِي اَلْكَوْنِ بِاعْتِبَارِهِ مُسْتَخْلَفًا فِيهِ، مَسْؤُولاً عَنْهُ، مَنُوطًا بِصِيَانَتِهِ، مَدْعُوًّا لِتَعْمِيرِهِ.

وَإِنَّنَا نَسْعَى إِلَى تَمْتِينِ اَلْعلاَقَاتِ التَّعَارُفِيَةِ مَعَ جَمِيعِ اَلْمَنْظُومَاتِ اَلْفِكْرِيَةِ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى دَعْمِ تَحَالُفِ اَلْحَضَارَاتِ، وَتَجْتَهِدُ فِي إِقْرَارِ السِّلْمِ اَلْعَالَمِيِّ وَتَوْطِيدِ حُقُوقِ اَلْإِنْسَانِ، وَمُحَارَبَةِ اَلْفَقْرِ وَتَمْكِينِ الدُّوَلِ اَلْفَقِيرَةِ مِنْ حَقِّهَا فِي اكْتِسَابِ اَلْمَعْرِفَةِ لِتَحْقِيقِ تَنْمِيَتِهَا اَلْمُسْتَدَامَة، وَصِيَانَةِ اَلْبِيئَةِ، وَصِيَانَةِ التَّنَوُّعِ الثَّقَافِيِّ.

وَمِنْ زَمَنِ تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ مِنْ طَرَفِ الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني رحمه الله إِلَى اَلْآنَ عَمِلَتْ قَطَر وِفْقَ اَلْمُوَجِّهَاتِ أَعْلاَهُ. وَيَرْعَى صَاحِبُ السُّمو أميرُ البلادِ المفدى الشيخ تميم بن حمد بن خليفة آل ثاني حفظه الله هَذِهِ اَلْمَسِيرَةَ اَلْمُبَارَكَةَ بِوَعْيٍ وبِخُطًى ثَابِتَة، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ فِي اَلْخِطَابِ اَلْأَوَّلِ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَى الشَّعْبِ القطريّ بَعْدَ أَنْ سَلَّمَهُ صَاحِبُ السُّمُوِّ اَلْأَمِيرُ اَلْوَالِدُ حمد بن خليفة آل ثاني مِشْعَلَ قِيَادَةِ دَوْلة قطر وهو فِي أَوْجِ عَطَائِهِ . قال صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد أمير قطر:" نَحْنُ كمسلمينَ نَحْتَرِمُ التَّنَوُّعَ في المذَاهِبِ وَنَحْتَرِمُ كُلَّ الدِّيَانَاتِ في بُلْدَانِنَا وَخَارِجَهَا ... وَ نَحْنُ دَوْلَةٌ وَشَعْبٌ وَمُجْتَمَعٌ مُتَمَاسِكٌ وَلَسْنَا حِزبًا سِيَاسِيًّا وَلِهَذَا فَنَحْنُ نَسْعَى لِلْحِفَاظِ عَلَى عَلَاقَاتٍ مَعَ اَلْحُكُومَاتِ وَالدُّوَلِ كَافَّةً"

أيها السادة

إِنَّ البوسنة اَلْحَدُّ الشَّرْقِيُّ لِلْغَرْبِ وَسِيطٌ حَضَارِيٌّ مُتَمَيِّزٌ لِحِوَارٍ مُتَكَافِئٍ بَيْنَ عَالَمَيْنِ لَطَالَمَا اِسْتَحْكَمَ النِّزَاعُ بَيْنَهُمَا، وَثَقَافَتَيْنِ مِحْوَرِيَّتَيْنِ قَادِرَتَيْنِ عَلَى التَّوَافُقِ عَلَى مَقَاصِدَ تَنْزَعُ فَتِيلَ النِّزَاعِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ بُؤَرِ التَّوَتُّرِ فِي اَلْعَالَمِ.

إِنَّ لِلْبُوسْنَة رَمْزِيَتَهَا اَلْخَاصَّةَ، وهِيَ قَادِرَةٌ على أن تُلْهِمَ كُلَّ اَلْبُلْدَانِ الَّتِي مَرَّتْ أَوْ تَمُرُّ الآن بِأَزْمَاتٍ وَصِرَاعٍ بَيْنَ مُكَوِّنَاتِهَا بِأَكْثَرِ الحلول نجاعة في إعادة بناء الثقة بين المتنازعين، وَهِيَ (أي البوسنة) مُهَيَّأَةٌ في يَوْمِ النَّاسِ هَذَا بِأَنْ تَكُونَ حَلْقَةَ وَصْلٍ حَقِيقِيَةٍ بَيْنَ الشَّرْقِ اَلْمُسْلِمِ وَالْغَرْبِ اَلْمَسِيحِيّ.

وفي الختام

وَبَعْدَ شُكْرِكُمْ جَمِيعًا، كُلٌّ بِاسْمِهِ، أَدْعُوكُمْ إِلَى تَدَبُّرِ هَذِهِ اَلْآيَةِ اَلْكَرِيمَةِ الَّتِي جَعَلَتِ التَّعَارُفَ نَتِيجَةً طَبِيعِيَّةً لِاخْتِلاَفِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ؛ فَهُمْ مَا اِخْتَلَفُوا وَتَنَوَّعُوا إِلاَّ لِيَتَعَارَفُوا، وَهُمُ الَّذِينَ فِي أَصْلِهِمْ مَخْلُوقُونَ من ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَهُمُ الَّذِينَ لاَ يُوجَدُ أَسَاسٌ لِلتَّفَاضُلِ بَيْنَهُمْ إِلاَّ تَقْوَاهُمْ لله اَلْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ. عِلْمًا بِأَنَّ التَّعَارُفَ الَّذِي هُوَ مَفْهُومٌ إِيجَابِيٌّ تَتَرَتَّبُ عَنْهُ مَآلاَتٌ إِيجَابِيَةٌ جَامِعَةٌ، يَزْدَادُ إِيجَابِيَةً حِينَ يَكُونُ اَلْقَصْدُ تَحْقِيقُ اَلْكَلِمَةِ السَّوَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالَّتِي رَأْسُهَا اَلْخُضُوعُ لله تَعَالَى وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَسَاسُهَا عَدَمُ اسْتِعْبَادِ اَلْبَعْضِ لِلْبَعْضِ اَلْآخَرِ.

يقول الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات، الآية 13

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله